والاستقبال وجعلها وجعل ابرهيم صلوات الله عليه كلمة التوحيد تكلم بها وهي
قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني كلمة باقية في عقبه في ذريته فلا يزال
فيهم من يوحد الله ويدعوا الى توحيده لعل من اشرك منهم يرجع بدعاء من وحد
منهم ونحوه ووصى بها ابرهيم بنيه وقيل وجعلها الله وقرئ كلمة على التخفيف
وفي عقبه كذلك وفي عاقبه اي فيمن عقبه اي خلفه بل متعت هؤلاء يعني اهل
مكة وهم من عقب ابرهيم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وشغلوا
بالتنعم واتباع الشهوات وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد حتى جاءهم
الحق وهو القرآن ورسول مبين الرسالة واضحها بما معه من الآيات البينة فكذبوا به
وسموه ساحرا وما جاء به سحرا ولم يوجد منهم ما رجاه ابرهيم وقرئ بل متعنا فان
قلت فما وجه من قرأ متعت بفتح التاء قلت كان الله اعترض على ذاته في قوله وجعلها
كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون فقال بل متعتهم بما متعتهم به من طول العمر والسعة
في الرزق حتى شغلهم ذلك عن كلمة التوحيد واراد بذلك في تعييرهم لانه اذا متعهم بزيادة
النعم وجب عليهم ان يجعلوا ذلك سببا في زيادة الشكر والثبات على التوحيد والايمان
لا ان يشركوا به ويجعلوا له اندادا فمثاله يشكو الرجل اساءة من احسن اليه ثم يقبل على
نفسه فيقول انت السبب في ذلك بمعروفك واحسانك وغرضه بهذا الكلام توبيخ
المسيء لا تقبيح فعله فان قلت قد جعل مجيء الحق والرسول غاية التمتيع ثم اردفه قوله
ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر فما طريقة هذا النظم ومؤداه قلت المراد بالتمتيع ما هو
سبب له وهو اشتغالهم بالاستمتاع عن التوحيد ومقتضياته فقال عز وعلا بل اشتغلوا
عن التوحيد حتى جاءهم ورسول مبين فخيل بهذه الغاية انهم تنبهوا عندها عن غفلتهم
لاقتضائها التنبه ثم ابتدأ قصتهم عند مجيء الحق فقال ولما جاءهم جاؤوا بما هو شر
من غفلتهم التي كانوا عليها وهو ان ضموا الى شركهم معاندة الحق ومكابرة الرسول ومعاداته
والاستخفاف بكتاب الله وشرائعه والاصرار على افعال الكفرة والاحتكام على حكمة
الله في تخير محمد من اهل زمانه بقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم

عظيم وهي الغاية في تسويه صورة امرهم قرئ على رجل بسكون الجيم من القريتين
من احدى القريتين كقوله يخرج منهما اللؤلؤ اي من احدهما والقريتان مكة والطائف
وقيل من رجلي القريتين وهما الوليد بن المغيرة المخزومي وحبيب بن عمرو بن عمير
الثقفي عن ابن عباس وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة عبد ياليل وعن قتادة الوليد
بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي وكان الوليد يقول لو كان حقا ما يقول محمد لنزل هذا
القرآن علي او على ابي مسعود الثقفي وابو مسعود كنية عروة بن مسعود ما زالوا ينكرون
ان يبعث الله بشرا رسولا فلما علموا بتكرير الله الحجج ان الرسل لم يكونوا الا رجالا
من اهل القرى جاؤوا بالانكار من وجه آخر وهو تحكمهم ان يكون احد هذين وقولهم هذا القرآن
ذكر له على وجه الاستهانة به وارادوا بعظم الرجل رياسته وتقدمه في الدنيا
وعزب عن عقولهم ان العظيم من كان عند الله عظيما اهم يقسمون رحمت ربك هذه الهمزة
للانكار المستقل بالتجهيل والتعجيب من اعتراضهم وتحكمهم وان يكونوا هم المدبرين
لامر النبوة والتخير لها من يصلح لها ويقوم بها والمتولين لقسمة رحمة الله التي لا
يتولاها الا هو بباهر قدرته وبالغ حكمته ثم ضرب لهم مثلا فاعلم انهم عاجزون عن
تدبير خويصة امرهم وما يصلحهم في دنياهم وان الله عز وعلا هو الذي قسم بينهم
معيشتهم وقدرها ودبر احوالهم تدبير العالم بها فلم يسو بينهم ولكن فاوت بينهم
في اسباب العيش وغاير بين منازلهم فجعل منهم اقوياء وضعفاء واغنياء ومحاويج
وموالي وخدما ليصرف بعضهم بعضا في حوائجهم ويستخدموهم في مهنهم ويتسخروهم
في اشغالهم حتى يتعايشوا ويترافدوا ويصلوا الى منافعهم ويحصلوا على مرافقهم
ولو وكلهم الى انفسهم وولاهم تدبير امرهم لضاعوا وهلكوا فاذا كانوا في تدبير امر
المعيشة الدنية في الحياة الدنيا على هذه الصفة فما ظنك بهم في تدبير امر الدين الذي
هو رحمة الله الكبرى ورأفته العظمى وهو الطريق الى حيازة حظوظ الآخرة والسلم
الى حلول دار السلام ثم قال ورحمة ربك يريد وهذه الرحمة وهي دين الله وما يتبعه
من الفوز في المآب خير مما يجمع هؤلاء من حطام الدنيا فان قلت معيشتهم

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)